أغاثا كريستي

عيّنة من الرواية

(للتصفح والاطّلاع)

مَقْتَل رُوجَر أَكْرُويْد

بسم الله الرحمن الرحيم

أغاثا كريستي

مَقْتَل رُوجَر أَكْرُويْد

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٢٦

ترجمة: محمود الخطيب

مراجعة الترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون

الأجيال للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٢٦ بعنوان

The Murder of Roger Ackroyd

Copyright Agatha Christie 1926

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنَع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة
٢٠٢٠

الفصل الأول

الدكتور شبارد على مائدة الإفطار

توفيت السيدة فيرارز في وقت متأخر من مساء السادس عشر من أيلول (سبتمبر)، وكان يومَ خميس. وقد أرسلوا في طلبي في الساعة الثامنة من صباح الجمعة السابع عشر من أيلول، ولم يكن بوسعي عمل شيء، فقد توفيت قبل وصولي بساعات.

كانت الساعة التاسعة وبضع دقائق عندما رجعت إلى بيتي. فتحتُ الباب الخارجي بمفتاحي وتعمدت التريث في الصالة بضع لحظات وأنا أعلّق قبعتي والمعطف الخفيف الذي رأيت من الحكمة ارتداءه تحسباً لبرد صباح خريفيٍّ مبكر، والحقيقة أنني كنت منزعجاً قلِقاً إلى درجة كبيرة. لنْ أزعم أنني كنت -في تلك اللحظة- أتنبأ بأحداث الأسابيع القليلة القادمة، فهذا لم يحدث قطعاً، إلا أن إحساسي الداخلي أخبرني بأن أوقاتاً مثيرة قادمة.

سمعتُ من غرفة الطعام على يساري أصوات أكواب الشاي وصوت سعال أختي كارولين الجاف، وقد نادت تقول: أهذا أنت يا جيمس؟

كان ذلك سؤالاً غير ضروري، فمَن يمكن أن يكون سواي؟ والحقيقة أن أختي كارولين هي السبب في تريثي في الصالة لبعض الوقت. إن شعار عائلة النمس -كما يقول السيد كِبْلنغ- هو: «اذهب وابحث»، ولئن تعيّن على كارولين أن تتخذ لنفسها شعاراً يمثلها فإنني أرى أن يكون صورة نمس متأهب يقف على قدميه ومخالب يديه في الهواء، ويمكن للمرء حذف الكلمة الأولى من الشعار حيث تستطيع كارولين أن تجد الأشياء وهي جالسة في بيتها مطمئنة. لا أعرف كيف تصنع ذلك، لكن هذا ما يحدث. وأشك في أن الخدم والباعة يشكّلون طاقم استخباراتها، وهي عندما تخرج من البيت لا تخرج لتجمع المعلومات ولكن لتنشرها، وهي خبيرة مذهلة في هذا المجال أيضاً.

إن صفتها الأخيرة هذه هي التي جعلتني أتردد، فأي شيء أقوله لكارولين الآن عن وفاة السيدة فيرارز سينتشر في جميع أنحاء القرية خلال ساعة ونصف ساعة. وبصفتي طبيباً محترفاً كان طبيعياً أن أميل إلى التكتم، لذلك فقد اعتدت عدم البوح بالمعلومات أمام أختي قدر الإمكان. وهي تكتشف -عادةً- ما أكتمه عنها من معلومات من مصادر أخرى، ولكنني أبقى قانعاً (من الناحية الخلقية) بأنني غير مَلوم على ذلك.

توفي زوج السيدة فيرارز قبل سنة تقريباً، وقد أكدتْ كارولين مراراً بأن زوجته قتلته بالسم دون أن يكون لهذا التأكيد أي أساس.

كانت دائماً تهزأ بردّي اليقيني بأن السيد فيرارز مات بسبب التهاب المعدة الحاد الذي زاده تفاقماً إفراطه في شرب المسكرات. صحيح أن أعراض التهاب المعدة تشبه أعراض التسمم بالزرنيخ إلّا

أن كارولين تبني اتهاماتها على أسباب مختلفة تماماً.

سمعتُها ذات مرة تقول: ما عليك إلّا أن تنظر إليها.

ورغم أن السيدة فيرارز لم تكن في مقتبل شبابها إلّا أنها كانت امرأة شديدة الجاذبية، وكانت ملابسها -على بساطتها- تبدو دوماً أنيقة جيدة التفصيل. ولكن كثيراً من النساء يشترين ملابسهن من باريس دون أن يعني ذلك -بالضرورة- أنهن يسمّمْن أزواجهن.

وفيما أنا واقف في الصالة متردداً وهذه الأفكار تجول في خاطري جاء صوت كارولين مرة أخرى بنبرة حادة: ما الذي تفعله عندك يا جيمس؟ لماذا لا تدخل وتتناول إفطارك؟

قلت مسرعاً: أنا قادم يا عزيزتي؛ كنت أعلّق معطفي.

- بوسعك تعليق عشرة معاطف خلال هذا الوقت.

كانت على حق في ذلك. ودخلت غرفة الطعام وسلّمت على كارولين كالمعتاد وجلست أتناول البيض واللحم البارد.

قالت كارولين: لقد خرجتَ مبكراً.

- نعم، إلى منزل كِنْغز بادوك... السيدة فيرارز.

- أعرف.

- وكيف عرفتِ؟

- أخبرتني آني.

كانت آني خادمةَ الاستقبال في البيت؛ فتاة لطيفة لكنها ثرثارة

مؤصّلة. خيّم الصمت على الغرفة قليلاً فيما واصلت أكل البيض واللحم، وارتعشت أرنبة أنف أختي (ذات الأنف الطويل الدقيق) كما هو دأبها إذا كانت مهتمة أو منفعلة لأمر ما. سألتْني: وماذا هناك؟

- أمر مؤسف، لم أستطع عمل شيء. لا بد أنها توفيت في نومها.

ردّت أختي ثانية: أعرف.

لكني هذه المرة تضايقت وقلت منفعلاً: لا يمكن أن تعرفي. أنا نفسي لم أعرف إلّا بعد أن وصلت إلى هناك ولم أذكر ذلك لأي مخلوق بعد. إن كانت تلك الفتاة، آني، تعرف بالأمر فلا بد أنها عَرّافة.

- لم تكن آني هي التي أخبرتني، وإنما بائع الحليب، وقد علم بالأمر من الطاهية التي تعمل في بيت فيرارز.

لا تحتاج كارولين -كما أسلفت- للخروج لتحصل على المعلومات؛ إنها تجلس في بيتها فتأتيها الأخبار. وتابعتْ تقول: ما هو سبب وفاتها؟ السكتة القلبية؟

سألتها ساخراً: ألم يخبرك بائع الحليب عن ذلك؟

ولكن السخرية مع كارولين تضيع هباء، فهي تأخذ الأمر على محمل الجد وتجيب وفقاً لذلك. أوضحتْ تقول: لم يعرف.

لا بد أن تعرف كارولين بالأمر عاجلاً أو آجلاً، ولذلك فالأفضل أن تسمعه مني. قلت: توفيت نتيجة تناولها جرعة مضاعفة من حبوب

الفيرونال. كانت تتناولها في الآونة الأخيرة لمعالجة الأرق، ولا بد أنها أخذت جرعة كبيرة منها.

ردّت كارولين على الفور: هراء، لقد تناولتها عمداً! اسألني أنا!

غريب كيف ترى المرء إذا كان لديه اعتقاد خاص لا يريد الإقرار به علناً ثم سمع أحداً آخر يصرّح به، تراه يبادر غاضباً إلى إنكار اعتقاده. لذلك قلتُ ساخطاً على الفور: إنك تتعجلين الحكم مرة أخرى دون سبب أو منطق. ما الذي يمكن أن يدفع السيدة فيرارز للانتحار؟ أرملة ما زالت شابة وثرية وفي كامل عافيتها وليس في حياتها ما تفعله سوى الاستمتاع بها. إنه كلام سخيف.

- أبداً. لا بد أنك لاحظت مدى التغير الذي طرأ عليها مؤخراً، وقد بدأ التغير بالازدياد في الأشهر الستة الأخيرة. كانت تبدو كأنها فريسة للكوابيس، كما أنك اعترفت -لتوك- بأنها لم تكن قادرة على النوم.

سألتها ببرود: ما هو تشخيصك؟ أظن أنها علاقة حب فاشلة، أليس كذلك؟

هزت كارولين رأسها نافية وقالت بحماسة بالغة: إنه الندم.

- الندم؟

- نعم. لم تصدقني أبداً حينما أخبرتك بأنها قتلت زوجها بالسم، وقد أصبحتُ الآن أكثر قناعة بهذا الرأي من أي وقت مضى.

عارضتها قائلاً: لا أراك منطقية تماماً. من المؤكد أن امرأة

ترتكب جريمةً كالقتل من شأنها أن تكون من البرود وموت الضمير بحيث تستمتع بثمار جريمتها دون أية عواطف ضعيفة رقيقة كالندم.

هزت كارولين رأسها وقالت: ربما توجد نساء من هذا النوع، لكن السيدة فيرارز ليست منهن. كانت كتلة من الأعصاب وقد سيطر عليها دافع قوي جعلها تتخلص من زوجها... لأنها من النوع الذي لا يستطيع تحمل المعاناة أياً كانت، ولا شك أن زوجة رجل مثل آشلي فيرارز لا بد أن تعاني كثيراً.

أومأت برأسي فتابعت تقول: ومنذ ذلك الوقت أرّقها هاجس ما فعلته بزوجها. لا أستطيع إلّا الشعور بالأسف عليها.

لا أظن أن كارولين قد شعرت أبداً بالأسف على السيدة فيرارز وهي على قيد الحياة، أما وقد رحلت الآن إلى عالم لم يعد فيه بالإمكان ارتداء الملابس الباريسية فقد صارت كارولين مستعدة لإظهار عواطف أكثر رقة من شفقة وتفهم.

أخبرتها -جازماً- بأن رأيها كله لا معنى له. وقد كنت أكثر جزماً في ذلك لأنني كنت أتفق معها في جزء صغير على الأقل ممّا قالته في قرارة نفسي، ولكن لا يصح أن تصل كارولين إلى الحقيقة عن طريق ضرب من التخمين. وما كنت لأشجع مثل هذا الأمر، فهي ستجوب القرية لتتبجح بآرائها فيظن الجميع أن هذه الآراء تستند إلى معلومات طبية زودتُها أنا بها. إن الحياة مرهقة!

قالت كارولين رداً على انتقاداتي: هراء! سوف ترى. أراهن على أنها تركت رسالة تعترف فيها بكل شيء.

قلت بحدّة دون أن أدرك إلى أين يقودني هذا الاعتراف: لم تترك أية رسالة.

- آه! إذن فقد سألتَ فعلاً عن هذا الأمر، أليس كذلك؟ أعتقد -يا جيمس- أنك ترى ما أراه تماماً في قرارة نفسك. يا لك من مخادع فظيع!

قلت بانفعال: على المرء أخذ احتمال الانتحار بعين الاعتبار.

- هل سيجري أي تحقيق؟

- ربما، هذا يعتمد على الظروف. لو أمكنني التصريح بأنني مقتنع تماماً بأنها أخذت الجرعة المضاعفة عن طريق الخطأ فربما يُستغنى عن إجراء التحقيق.

سألتْني أختي بمكر: وهل أنت مقتنع تماماً؟

لم أجبها على سؤالها، بل قمت عن المائدة.

* * *

الفصل الثاني

سكّان كِنْغْز أبوت

قبل المضي في سرد ما قلته لكارولين وما قالته كارولين لي قد يكون من الأَوْلى تقديم فكرة عن المنطقة التي نسكن فيها. فقريتنا تدعى كِنْغْز أبوت، وأظن أنها تشبه أي قرية أخرى. والمدينة التي نتبعها تُدعى كرانشستر وتبعد عن قريتنا مسافة تسعة أميال، ويوجد عندنا محطة قطارات ومكتب بريد صغير ومخزنان عامان متنافسان، ومن عادة الشبان الذكور ترك القرية في وقت مبكر من حياتهم، كما أن قريتنا مليئة بالنساء العوانس وضباط الجيش المتقاعدين. ويمكن تلخيص هواياتنا ووسائل ترفيهنا بكلمتين اثنتين فقط هما «الثرثرة والشائعات».

وليس في كنغز أبوت إلّا بيتان يتمتعان بأهمية حقيقية أحدهما هو «كنغز بادوك» الذي تركه السيد فيرارز لزوجته بعد وفاته، أما الآخر فيُدعى «فيرنلي بارك» ويملكه روجر أكرويد. وقد لفت أكرويد اهتمامي دوماً لكونه مثالاً تقليدياً دقيقاً لمالكي الأراضي الريفيين في إنكلترا، ولكنه ليس -بالطبع- من مالكي الأراضي حقاً، فهو رجل صناعة ناجح جداً، وأظن أنه يصنع عجلات العربات. وهو في

الخمسين من عمره تقريباً، أحمر الوجه حلو المعشر، وكان يدفع التبرعات السخية للأعمال الخيرية (رغم أن الإشاعات تقول إنه بخيل جداً في نفقاته الشخصية) ويشجع مباريات الكريكِت وأندية الشباب وجمعيات الجنود المعوقين. إنه -في الواقع- روح قريتنا الهادئة.

عندما كان روجر أكروِيد شاباً في الحادية والعشرين من عمره وقع في غرام امرأة جميلة تكبره بخمس سنوات أو ستٍّ وتزوجها. كان اسمها باتون وكانت أرملة ولها طفل واحد، وقد كان ذلك الزواج قصيراً ومؤلماً، فقد كانت السيدة أكروِيد -بصريح العبارة- مدمنة على الكحول، وقد استهلكت نفسها في الشراب حتى ماتت بعد أربع سنوات من زواجها. ولم يُظهر أكروِيد -في السنوات التي أعقبت ذلك- أي رغبة في تكرار الزواج. وكان ابن زوجته من زوجها الأول في السابعة من عمره فقط عندما توفيت والدته، وهو الآن في الخامسة والعشرين من عمره. كان أكروِيد يعتبره دائماً ابناً له وقام بتربيته على هذا الأساس، لكنه كان صبياً منفلتاً طائشاً شكّل مصدر إزعاج وقلق كبيرين لزوج أمه. ومع ذلك فنحن جميعاً في قرية كنغز أبوت نحب رالف باتون كثيراً، فقد كان شاباً بالغ الوسامة.

وكما قلت من قبل، فإن من عادتنا في القرية القيل والقال. وقد لاحظ الجميع -منذ البداية- بأن العلاقة تتطور بين أكروِيد والسيدة فيرارز، وبعد وفاة زوجها ازدادت العلاقة بينهما قوة. كانا يشاهَدان معاً دائماً، وكان من السهل الحدس بأنهما سيتزوجان بعد انتهاء عدتها. والحقيقة أن الجميع قد أحسوا بوجود تناسب معين في هذا الزواج، فزوجة روجر أكروِيد توفيت نتيجة إفراطها في الشراب، وكان آشلي فيرارز مدمناً على الخمر هو الآخر لسنوات عديدة

قبل وفاته. وكان مناسباً تماماً أن يتزوج أكروید السيدة فيرارز وهما ضحيتان لمدمنَي الخمر وقد صبَرا طويلاً على أذى شريكَي حياتهما.

جاءت عائلة فيرارز للعيش هنا قبل سنة واحدة فقط، لكن بعض الإشاعات أحاطت بأكروید منذ عدة سنوات، فقد تعاقبت سلسلة من مدبرات المنزل في بيته وكانت كارولين ورفيقاتها ينظرن إلى كل واحدة منهن بعين الريبة. وليس من المبالغة القول إن القرية كلها قد توقعت -خلال السنوات الخمس عشرة الماضية- أن يعمد أكروید للزواج بواحدة من مدبرات المنزل العاملات عنده. وكانت آخرهن امرأة شديدة المراس تدعى الآنسة راسل استقرت عنده خمس سنوات دون منازع، وهي ضعف المدة التي عملت بها أي واحدة قبلها، وقد شعر الناس بأنه لولا مجيء السيدة فيرارز لما استطاع أكروید النجاة منها. بالإضافة إلى سبب آخر، وهو الوصول غير المتوقَّع لأرملة أخيه مع ابنتها من كندا. فقد أقامت السيدة سيسيل أكروید (وهي أرملة الأخ الأصغر الفاشل لروجر أكروید) في فيرنلي بارك، وقد نجحت -كما تقول كارولين- في وضع الآنسة راسل في مكانها الصحيح.

ورغم أنني لا أعرف تماماً المقصود بـ«المكان الصحيح» إلّا أنني أعرف أن الآنسة راسل قد أخذت تزمُّ شفتيها وتكتفي بابتسامة لاذعة وتبدي كل شفقة على «السيدة المسكينة أكروید» التي تعتمد على صدقة زوج أخيها، فخبز الصدقة مُرّ المذاق، أليس كذلك؟

لا أدري كيف كانت السيدة سيسيل ترى مسألة فيرارز عندما تُطرح تلك المسألة على بساط البحث، ومن الواضح أن بقاء السيد أكروید دون زواج كان من مصلحتها. وقد كانت دوماً لطيفة (إن لم

نقل بالغة اللطف) مع السيدة فيرارز عندما تلتقيان، ولكن كارولين تقول إن ذلك لا يثبت شيئاً البتة.

كانت تلك الأحاديث شغلنا الشاغل في القرية خلال السنوات القليلة الماضية. ناقشنا موضوع أكروبد وشؤونه من كل الجوانب، وقد أخذت السيدة فيرارز مكانها المناسب في ذلك كله. أما الآن فتتم إعادة ترتيب للمشهد، فقد انتقلنا من النقاشات اللاهية بشأن هدايا الزفاف المتوقعة إلى خضمّ المأساة.

وبعدما قلّبت التفكير في هذا الأمر وفي أمور أخرى مختلفة انتقلتُ بصورة آلية إلى عملي. لم تكن عندي أية حالات مَرَضية تتطلب مني اهتماماً خاصاً، وربما كان ذلك أفضل لأن أفكاري كانت تعود إلى لغز وفاة السيدة فيرارز باستمرار. أتراها انتحرت؟ لو فعلت ذلك لتركت -بالتأكيد- رسالة وراءها تخبر عما كانت تفكر فيه، فحسب خبرتي فإن المرأة عندما تعزم على الانتحار فإنها تحب -في العادة- كشف حالتها النفسية التي دفعتها إلى ذاك الفعل الرهيب، فهي تتوق إلى جذب الأضواء والاهتمام.

متى رأيتها آخر مرة؟ لم يمضِ على ذلك أكثر من أسبوع. بدت طبيعية إذا ما أخذنا بعين الاعتبار... إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كل الظروف. ثم تذكرتُ -فجأة- أنني رأيتها أمسِ فقط رغم أنني لم أتحدث معها. كانت تسير مع رالف باتون، وقد فوجئتُ لأنني لم أكن أعرف أنه موجود في القرية، والحقّ أنني ظننت أنه تشاجر مع زوج والدته شجاراً نهائياً، فلم يره أحد هنا منذ ستة أشهر تقريباً.

كانا يمشيان جنباً إلى جنب وهي تتكلم بجدية، وأظن أن

باستطاعتي القول باطمئنان إنني شعرت بنذير شؤم يغمرني في تلك اللحظة بالذات. لم يكن في الأمر شيء ملموس بعد، ولكنه كان نذيراً غامضاً من الطريقة التي كانت تترتب فيها الأحداث، إذ لم تعجبني تلك الأحاديث المتبادلة بين رالف باتون والسيدة فيرارز. وكنت ما أزال أفكر في ذلك الأمر عندما تقابلت مع روجر أكرويد وجهاً لوجه.

صاح قائلاً: شبارد؟! أنت الرجل الذي أبحث عنه تماماً. إنه أمر فظيع.

- إذن فقد سمعت بالخبر!

أومأ برأسه، ورأيت أنه تأثر كثيراً لهذا الحادث، فقد بدت وجنتاه الحمراوان متهدلتين، وبدا هو كحطامٍ لذلك الرجل المرح الحيوي الذي كانه دوماً. قال بهدوء: الأمر أسوأ ممّا تعرف. أريد الحديث معك يا شبارد. هل يمكنك العودة معي الآن؟

- لا يمكن. أمامي ثلاثة مرضى عليّ عيادتهم، ويجب أن أعود في الثانية عشرة لأستقبل مرضى العيادة.

- إذن عصر اليوم... لا، الأفضل أن نتناول العشاء معاً الليلة. الساعة السابعة والنصف، هل يناسبك هذا الوقت؟

- نعم، يمكنني ذلك. ما الأمر؟ أهو رالف؟

لا أكاد أعرف لماذا قلت ذلك... باستثناء أن المشكلة كانت غالباً مع رالف. وحدّق أكرويد إليّ وكأنه لم يفهمني، فبدأت أدرك بأن ثمة شيئاً غيرَ طبيعي دون ريب، فأنا لم أشاهد أكرويد على هذه الدرجة من الانزعاج من قبل.

قال وهو شارد الذهن: رالف؟ آه! لا، ليس رالف. رالف موجود في لندن... تباً! الآنسة جانيت قادمة. لا أريد الحديث معها بخصوص هذا الأمر المروع. إلى اللقاء هذه الليلة يا شبارد، الساعة السابعة والنصف.

أومأت له فذهب مسرعاً بعد أن تركني حائراً أتساءل. رالف في لندن؟ لكنه كان في القرية بعد ظهر أمس بالتأكيد. لا بد أنه عاد إلى المدينة الليلة الماضية أو في وقت مبكر من هذا الصباح. ومع ذلك كانت ملامح أكرويد تعطي انطباعا مختلفاً تماماً؛ لقد تكلم وكأن رالف لم يَأتِ إلى القرية منذ أشهر.

لم يكن الوقت كافياً للتفكير في هذا الأمر، فقد جاءتني الآنسة جانيت متعطشة للمعلومات.

كانت الآنسة جانيت تتحلى بجميع صفات كارولين لكنها تفتقد إلى ذلك الحدس الذي لا يخطئ في القفز إلى النتائج، وهو ما يضفي لمسة من العظمة على مناورات كارولين. وكانت تلهث وهي تسأل: أليس مؤسفاً ما حدث للسيدة فيرارز المسكينة؟ كثير من الناس يقولون إنها تتعاطى المخدرات منذ سنوات. يا للطريقة البشعة التي يتعمدها الناس في أقاويلهم! والأنكى هو أن بعض الحقيقة توجد -عادةً- في هذه الأقوال القاسية. لا دخان بلا نار! وكانوا يقولون أيضاً إن السيد أكرويد قد اكتشف هذا الأمر ففسخ خطبته (لأنهما كانا مخطوبين فعلاً).

كانت الآنسة جانيت تمتلك دليلاً على ذلك، وكان يُفترض بي -طبعاً- أن أعرف كل شيء عن الأمر، فالأطباء دائماً يعرفون... ولو

أنهم لا يبوحون أبداً بما يعرفونه! وقد كانت تتكلم معي وهي تتفرسني بعينين خرزيتين حادتين لترى ردّ فعلي على أفكارها، ولحسن الحظ فإن طول اعتيادي على كارولين جعلني أحافظ على مظهر جامد لا يُسبَر غوره وأكون مستعداً للرد بعبارات صغيرة لا يُفهم منها شيء. وبهذه المناسبة هنأت الآنسة جانيت على إحجامها عن المشاركة في الأقاويل البغيضة، ورأيت ذلك هجوماً معاكساً متقناً من طرفي. وقد جعلتها في حيرة من أمرها، ثم فررت منها قبل أن تستجمع قواها.

* * *

عدت إلى البيت مستغرقاً في التفكير لأجد عدة مرضى بانتظاري في العيادة.

وقبل ساعة الغداء كنت أسير في الحديقة متأملاً وقد ظننت أنني انتهيت من كل المرضى عندما أدركت أن مريضة أخرى كانت في انتظاري. نهضَتْ من مكانها وجاءت إليّ بينما وقفت أنا مدهوشاً بعض الشيء. ولا أدري لماذا كان عليّ أن أشعر بالدهشة، ربما بسبب الصلابة والقوة اللتين أوحى بهما شكل الآنسة راسل، إذ بدت -نوعاً ما- أقوى من علل الجسد وأمراضه.

كانت مدبرة منزل أكرويد امرأة طويلة القامة وسيمة رغم منظرها الفظيع، وكانت ذات عينين قويتين وشفتين مزمومتين، وخطر ببالي أنني كنت سأفرّ للنجاة بحياتي كلما سمعتها تقترب لو أنني كنت خادمة تعمل تحت إمرتها.

قالت الآنسة راسل: صباح الخير يا دكتور شبارد. سأكون ممتنّة لك إذا ما ألقيت نظرة على ركبتي.

ألقيت نظرة على ركبتها، ولكنني -للحقيقة- لم أفهم شيئاً من نظرتي تلك. كان حديثها عن آلام غامضة في ركبتها غيرَ مقنع إلى حدٍ كنت معه سأشك -لولا استقامة شخصيتها- بأن القصة كلها ملفقة.

وخطر لي -لوهلة- بأن الآنسة راسل ربما تعمدت اختراع قصة آلام الركبة عندها لكي تنتزع مني معلومات عن موضوع وفاة السيدة فيرارز، لكني أدركت بأنني أسأت الحكم عليها في الحال، إذ لم تُشِرْ إلى الحادث إلّا إشارة عابرة ولم تزد على ذلك شيئاً. ومع ذلك بدت ميّالة إلى التلكؤ والثرثرة، وأخيراً قالت: أشكرك جداً يا دكتور على المرهم، رغم أني لا أظن أنه سيفيدني بشيء.

لم أظن ذلك أنا أيضاً، ولكنني اعترضت بدافع الواجب، فليس من شأن المرهم أن يضرّها على أي حال، كما أن المرء ملزم بالدفاع عن كل ما يتعلق بعمله.

قالت الآنسة راسل وهي تنظر إلى العدد الكبير من قوارير الأدوية باستخفاف: أنا لا أؤمن بكل هذه العقاقير؛ إنها تسبب ضرراً كبيراً. خذ عادة الإدمان على الكوكايين مثلاً...

- بالنسبة لهذا الامر...

- إنها شائعة جداً في المجتمع الراقي.

أنا على ثقة بأن الآنسة راسل تعرف عن المجتمع الراقي أكثر ممّا أعرفه بكثير، لذلك لم أحاول مجادلتها. قالت: أرجو أن تخبرني يا دكتور: افترض أن المرء أصبح عبداً للإدمان على المخدرات، فهل يوجد علاج له؟

لا يمكن الإجابة على سؤال كهذا بشكل عابر، لذلك قدمت لها محاضرة قصيرة حول هذا الموضوع، وأصغت هي باهتمام شديد (وأنا ما أزال أشك في أنها تسعى للحصول على معلومات عن السيدة فيرارز) ثم تابعتُ أقول: الفيرونال على سبيل المثال...

لكن الغريب في الأمر أنها لم تَبدُ مهتمة بالفيرونال، وبدلاً من ذلك غيّرت موضوع الحديث وسألتْني عن حقيقة وجود أنواع معينة من السموم نادرة إلى الحد الذي يجعل كشفها صعباً محيراً.

قلت: آه، كنت تقرئين روايات بوليسية!

اعترفتْ بأنها كانت تقرأ مثل تلك الروايات، فقلت: إن جوهر الرواية البوليسية هو سم نادر لم يسمع به أحدٌ أبداً... وقد يكون من أمريكا الجنوبية، شيئاً تستخدمه قبيلة مجهولة من المتوحشين لتسمّم سهامها به، سمّاً يؤدي إلى الوفاة على الفور ويقف العلم الغربي عاجزاً عن كشفه. أهذا ما تقصدينه؟

- نعم. هل يوجد شيءٌ كهذا حقاً؟

هززت رأسي آسفاً وقلت: أخشى أنه لا وجود لشيء كذلك، وإن كانت توجد بعض السموم بالطبع...

بدأتُ بإخبارها عن السموم بالتفصيل، ولكن يبدو أنها فقدت اهتمامها بالأمر مرة أخرى. سألتْني إن كنت أحتفظ بشيء منها في خزانة السموم عندي، وعندما أجبتها بالنفي بدا أن منزلتي قد ضعفت في نظرها. وأخيراً استأذنتني بالعودة وودعتها عند باب العيادة عندما رن جرس المنزل إيذاناً بحلول وقت الغداء.

ما كنت أحسب أبداً أن للآنسة راسل ولعاً بالروايات البوليسية، وقد استمتعت كثيراً في تخيّلها وهي تخرج من غرفتها لتوبيخ خادمة مقصرة في عملها ثم تعود لتتابع بارتياح رواية «لغز القتيل السابع» أو شيئاً من هذا القبيل.

* * *

الفصل الثالث

الرجل الذي يزرع الكوسا

أخبرت كارولين على الغداء بأنني سأتعشى الليلة في فيرنلي، ولم تُبدِ أي معارضة، بل على العكس؛ قالت: رائع! سوف تسمع كل شيء عن الأمر. على فكرة: ما مشكلة رالف؟

قلت وقد فاجأني سؤالها: رالف؟! ليست له أي مشكلة.

- إذن لماذا يقيم في فندق «ثري بورز» بدلاً من الإقامة في منزل «فيرنلي بارك»؟

لم أشكّ أبداً في صحة هذه المعلومات عن إقامة رالف باتون في أحد الفنادق المحلية، إذ يكفيني قول كارولين دليلاً على صحّتها.

قلت: أخبرني أكرويد أنه كان في لندن.

فبسبب المفاجأة تخليت عن قاعدتي القيّمة التي تقضي بأن لا أبوح بمعلومات، وقد صاحت كارولين: آه!

رأيت أرنبة أنفها ترتجف وهي تُعمل تفكيرها بهذه المعلومة.

قالت: وصل إلى فندق ثري بورز صباح الأمس، وما زال هناك، وقد خرج الليلة الماضية مع فتاة. ولم يفاجئني هذا على الإطلاق لأن رالف -كما يبدو لي- يخرج مع فتيات في معظم الأيام، ولكن ما حيرني قليلاً هو اختياره قريتنا مكاناً لمغامراته العاطفية بدلاً من المدينة الصاخبة.

سألتها: هل كانت إحدى العاملات في الحانة؟

- لا. هنا المعضلة. لقد خرج لمقابلتها، ولا أعرف من هي.

يصعب على كارولين أن تضطر لمثل هذا الاعتراف! وبعدها أكملت أختي التي لا تعرف التعب تقول: ولكني أستطيع التخمين.

انتظرتها صابراً حتى قالت: ابنة عمه.

صحت مشدوهاً: فلورا أكروید؟!

بالطبع لا توجد علاقة قرابة حقيقية بين فلورا أكروید ورالف باتون، ولكن رالف اعتُبر منذ فترة طويلة ابناً لأكروید، ولذلك يسلّم الجميع بأن الفتاة ابنة عمه.

قالت كارولين: فلورا أكروید.

- ولكن لماذا لم يذهب إلى فيرنلي لو أراد مقابلتها؟

ردّت كارولين باستمتاع كبير: إنهما مخطوبان سراً، وليس من شأن أكروید أن يوافق على ذلك، لذلك فإنهما مضطران للّقاء بهذا الشكل.

رأيت كثيراً من الخلل في نظرية كارولين، ولكني أحجمت عن

الإشارة إليها. وكان من شأن ملاحظة بريئة قلتُها عن جارنا الجديد أن تغير الموضوع.

البيت المجاور لنا، المسمّى «لارشيز»، سكنه مؤخراً رجل غريب، ومما أثار في كارولين أشدّ الانزعاج أنها لم تستطع معرفة أي شيء عنه باستثناء أنه أجنبي، وقد أثبت جهاز مخابراتها فشله الذريع. ورغم أن المفترَض أن هذا الرجل يشتري الحليب والخضار واللحوم والأسماك كأي شخص آخر في القرية، إلّا أن أحداً ممّن كانت مهمتهم تزويده بهذه الأشياء لم يستطع الحصول على أي معلومات عنه.

يبدو ظاهرياً أن اسمه هو السيد بوارو، وهو اسم يوحي بإحساس غريب من عدم الواقعية. الشيء الوحيد الذي نعرفه عنه هو اهتمامه بزراعة الكوسا، ولكن هذه المعلومة ليست مما تسعى كارولين لمعرفته بالتأكيد. إنها تريد معرفة جنسيته، وماذا يعمل، وهل هو متزوج أم لا، ومَن هي زوجته أو كيف هي، وهل له أولاد، وما هو اسم زوجته قبل الزواج... وهكذا. لا شك أن شخصاً مثل كارولين هو الذي اخترع الأسئلة التي تُكتب في طلب جوازات السفر!

قلت: يا عزيزتي! لا يوجد شك على الإطلاق فيما يتعلق بمهنة الرجل. إنه حلّاق متقاعد... انظري إلى شاربه.

عارضتني كارولين؛ قالت: لو كان الرجل حلاقاً لكان شعره متموجاً وليس مسرَّحاً، كل الحلاقين هكذا.

استشهدت بالكثير من الحلاقين الذين أعرفهم ولهم شعر مسرّح، لكن كارولين رفضت أن تقتنع. قالت بصوت حزين: لا أستطيع تقدير

ماهيته أبداً. استعرت منه أمس بعض أدوات الحديقة، وكان في غاية الأدب، ولكني لم أستطع الحصول منه على أي شيء. وفي نهاية الأمر سألته صراحة ودون مواربة إن كان فرنسياً، فأجابني بأنه ليس فرنسياً... ثم لا أعرف لماذا لم أشأ توجيه مزيد من الأسئلة إليه.

بدأت أهتمُّ أكثر بجارنا الغامض. لا بد أن رجلاً يستطيع إسكات كارولين وإعادتها صفر اليدين من حيث أتت... لا بد أن رجلاً كهذا ذو شخصية متميزة.

قالت كارولين: أظن أن لديه واحدة من تلك المكانس الكهربائية الجديدة.

رأيت في عينيها مشروعَ استعارةٍ قيد التخطيط وفرصةً لمزيد من الأسئلة، ثم جاءتني فرصة للهروب إلى الحديقة، فأنا أحب العمل في الحديقة. وكنت مشغولاً في استئصال جذور بعض النباتات عندما سمعت صرخة تحذير من مكان قريب وصوت جسم ثقيل يئز قرب أذني ثم يقع عند قدمي بقوة. كانت حبة من الكوسا!

رفعت بصري غاضباً لأرى وجهاً يطل من أعلى الجدار إلى يساري، ورأيت رأساً بيضوي الشكل مكسواً بشعر أسود يثير الريبة وعلى الوجه شاربان كبيران وعينان يقظتان تحدقان.

كان ذلك هو جارنا الغامض، السيد بوارو. وعلى الفور تدفقت كلمات الاعتذار على لسانه: أرجو المعذرة يا سيدي، رغم أنه لا عذر لي. إنني أزرع الكوسا منذ بضعة أشهر، وفجأة غضبت من الكوسا هذا الصباح فقذفتها بعيداً... للأسف؛ أمسكت بأكبر حبة فيها

فقذفتها فوق الحائط! إنني خَجِل منك يا سيدي. اعذرني.

كان غضبي قد هدأ قبل إسرافه في الاعتذار، كما أن حبة الكوسا لم تصبني. ولكني كنت أرجو -مخلصاً- أن لا يكون إلقاء الخضروات الكبيرة من فوق الجدران هواية من هوايات صديقنا الجديد، فتلك عادة لا تكاد تجعله جاراً محبباً.

بدا أن الرجل الغريب الضئيل قد قرأ أفكاري، فقد صاح قائلاً: آه، لا، لا تقلق نفسك. إنها ليست من عادتي، لكنك تستطيع أن تتخيل وضعاً يعمل فيه المرء للوصول إلى هدف معين. قد يعمل ويكدح لكسب نوع من الراحة أو التفرغ لهواية معينة، ثم يكتشف أنه -في نهاية الأمر- يتوق إلى أيام العمل المحموم التي مضت وإلى مشاغله القديمة التي ظن أنه سعيد لتركها.

قلت ببطء: نعم، أظن أن هذه ظاهرة شائعة. أنا نفسي مثال على ذلك، فقبل سنة حصلت على ميراث يكفي لتحقيق حلم، وقد أحببت دوماً السفر لرؤية العالم. كان ذلك قبل عام كما قلت... ولكني ما زلت هنا!

أومأ جاري برأسه وقال: إنها قيود العادة. نحن نعمل لتحقيق غرض معين، وعندما نحققه نجد أن ما نفتقده هو الكدح اليومي. وأريد أن ألفت انتباهك -يا سيدي- إلى أن عملي كان مثيراً... إنه أكثر الأعمال إثارة في العالم.

قلت مشجعاً: صحيح؟

في تلك اللحظة سَرَتْ في نفسي روح كارولين وحيويتها. أما جاري فقد مضى موضِّحاً: دراسة الطبيعة البشرية يا سيدي!

قلت بلطف: نعم، تماماً.

واضح أنه حلاق متقاعد. مَن يعرف أسرار الطبيعة البشرية أكثر من الحلاق؟

- كما كان لديّ صديق، صديق لم يفارقني لسنوات عديدة. كانت تنتابه أحياناً حماقة تخيف المرء، ومع ذلك كان عزيزاً عليّ كثيراً. تصور أنني أفتقد حتى حماقته وسذاجته ونظرته البريئة النزيهة إلى الأشياء، وأفتقد سروري من إدهاشه وإسعاده بمواهبي الفائقة... كل هذه الأشياء أفتقدها بطريقة لا أستطيع وصفها لك.

سألته متعاطفاً: وهل مات؟

- لا. إنه حي يرزق... ولكنه بعيد؛ إنه الآن في الأرجنتين.

قلت حاسداً: في الأرجنتين.

رغبت دائماً في السفر إلى أمريكا الجنوبية. تنهدت حسرة، ثم رفعت بصري لأجد السيد بوارو ينظر إليّ بعين العطف. بدا رجلاً متفهماً وسألني: أتحب لو تذهب إلى هناك؟

تنهدت وهززت رأسي أسفاً وقلت: كنت أستطيع ذلك قبل سنة. ولكني كنت أحمق، وأكثر من أحمق... كنت جشعاً. لقد جازفت بالجوهر سعياً وراء السراب.

قال السيد بوارو: فهمت. هل شاركت في مضاربات تجارية.

أومأت برأسي حزيناً، ولكني شعرت -رغماً عني وفي قرارة نفسي- بأنني موضع حفاوة. إن هذا الرجل الضئيل ذا المظهر السخيف

جاد إلى درجة تكاد تبلغ الادعاء.

سألني فجأة: أكانت مضارباتك في حقول نفط بوركيوبين؟

حدّقت إليه وقلت: الواقع أنني فكرت في المضاربة فيها، ثم عدلت عنها إلى المضاربة في منجم ذهب في غرب أستراليا.

كان جاري يفحصني بنظرات غريبة لم أفهمها، وأخيراً قال: إنه القدر.

سألته بانفعال: ما هو القدر؟

- قدري أن أعيش بجوار رجل يفكر جاداً في الاستثمار في حقول نفط بوركيوبين ومناجم الذهب في غرب أستراليا. قل لي: هل أنت مولع بالشعر الأحمر أيضاً؟

حدّقت فيه مشدوهاً، فانفجر ضاحكاً وقال: لا، لا، لست مجنوناً. هوّنْ عليك. كان سؤالاً أحمق هذا الذي سألتك إياه، لأن صديقي الذي حدثتك عنه كان شاباً، أو رجلاً، يرى جميع النساء طيبات ويرى معظمهن جميلات. ولكنك رجل في أواسط عمرك، طبيب، رجل يعرف تفاهة وزيف كثير من الأشياء في حياتنا هذه. حسناً، حسناً، نحن جيران. أرجو أن تقبل مني أفضل حبة كوسا عندي وتهديها إلى أختك الرائعة.

انحنى أمامي وأخرج بحفّارته حبة كوسا ضخمة قبلتها منه بنفس الود الذي قدمها لي به.

قال الرجل الضئيل مبتهجاً: الحق أن صباحي هذا لم يضع هباء؛ فلقد تعرفت على رجل يشبه إلى حد ما صديقي البعيد. على

فكرة، أريد سؤالك شيئاً. لا شك أنك تعرف كل مَن في هذه القرية الصغيرة. مَن هو ذلك الشاب أسود الشعر والعينين ذو الوجه الوسيم؟ ذلك الذي يمشي مرفوع الرأس وعلى شفتيه ابتسامة عفوية؟

لم أشكّ في صاحب هذا الوصف، فقلت ببطء: لا بد أنه الكابتن رالف باتون.

- لم أره هنا من قبل.

- لم يأت إلى هنا منذ فترة من الزمن. إنه ابن السيد أكرويد صاحب منزل فيرنلي بارك، أو بالأحرى ابن زوجته.

أشار جاري بيده إشارة استدراك خفيفة وقال: بالطبع، كان عليّ أن أخمّن ذلك. لقد تحدث عنه السيد أكرويد كثيراً.

قلت وقد فاجأتني إجابته قليلاً: هل تعرف السيد أكرويد؟

- السيد أكرويد يعرفني من لندن... عندما كنت أعمل هناك. ولكني طلبت منه أن لا يبوح هنا بشيء عن مهنتي.

رأيت ذلك تبجحاً واضحاً أثار اهتمامي، ولكنني اكتفيت بالقول: فهمت.

لكن الرجل الضئيل واصل حديثه بابتسامة شبه متكلَّفة: يفضّل المرء أن يبقى مجهولاً. إنني لا أتلهف على الشهرة، بل إنني لم أكلف نفسي تصحيح اسمي الذي يلفظه أهل القرية خطأً.

قلت دون أن أعرف تماماً ما يمكن قوله: صحيح.

تمتم السيد بوارو قائلاً: الكابتن رالف باتون. إذن فهو خطيب

ابنة أخ السيد أكروید الآنسة فلورا الفاتنة.

سألته وقد فوجئت كثيراً بكلامه: من أخبرك بذلك؟

- السيد أكروید، قبل أسبوع تقريباً. إنه سعيد جداً بذلك... كان يرغب بهذا منذ وقت طويل كما فهمت منه، حتى إنني أعتقد بأنه ضغط على الشاب حتى يقبل بالأمر. وهو إجراء يفتقر إلى الحكمة، فعلى الشاب أن يتزوج لكي يُسعد نفسه لا ليسعد زوجَ أمٍّ لمجرد أن لديه أموالاً ستؤول إليه.

اضطربت أفكاري تماماً. لم أفهم كيف يبوح أكروید لحلاق بأسراره الخاصة ويناقش معه زواج ابنة أخيه وابن زوجته. كان أكروید لطيف المعشر مع من هم دونه منزلة، ولكنه -بالمقابل- ذو إحساس مرهف بكرامته وقَدْره. وبدأت أفكر في أن بوارولا يمكن أن يكون حلاقاً. ولكي أخفي ارتباكي قلت أول شيء خطر في بالي: ما الذي جعلك تلحظ رالف باتون؟ وسامته؟

- لا، ليس ذلك وحده... رغم أنه وسيم بشكل غير عادي بالنسبة لشاب إنكليزي. ولكن في ذلك الشاب شيئاً لم أفهمه.

قال الجملة الأخيرة بنبرة تأملية غريبة أثرت علي تأثيراً لم أدرك كنهه. كان كمن يلخص وضع ذلك الشاب معتمداً على معرفة داخلية لم أكن أقاسمه إياها، وقد بقي ذلك الأثر لدي إذ أن كارولين نادتني في تلك اللحظة من داخل البيت.

عدت إلى البيت. كانت كارولين تضع قبعتها، وبدا أنها قد عادت لتوها من القرية. قالت بلا أيّ مقدمات: التقيت بالسيد أكروید.

- حقاً؟

- أوقفته بالطبع، لكنه كان في عجلة من أمره، حريصاً على الهروب مني.

لم يكن عندي شك في أنه كان كذلك، فقد كان من شأنه أن يشعر إزاء كارولين بما شعرته تجاه الآنسة جانيت في صباح ذلك اليوم... وربما أكثر، فالتخلص من كارولين أصعب.

- سألته عن رالف على الفور، وقد ذهل تماماً. لم يكن يعرف أن الولد كان في القرية. وقد قال إنه يظن أنني مخطئة. تصور... أنا! مخطئة!

قلت: يا للسخافة! يُفترَض به أن يعرفك بشكل أفضل.

- ثم أخبرني بأن رالف وفلورا مخطوبان.

قاطعتها متفاخراً: لقد عرفت ذلك أيضاً.

- مَن أخبرك؟

- جارنا الجديد.

ترددت كارولين أمام هذا الفتح لحظة كما تترد كرة الروليت بين رقمين، ولكنها ما لبثت أن تجاهلت هذا الطعم الجديد وقالت: أخبرت السيد أكرويد بأن رالف كان مقيماً في فندق ثري بورز.

- كارولين، ألم تفكري بأنك قد تسببين أذىً بعادتك هذه في ترديد كل شيء دون تمييز؟

- هراء، يجب أن يعرف الناس الأمور. أرى أن من واجبي

إخبارهم. وقد امتنّ السيد أكرويد لي كثيراً.

بدا لي واضحاً أن لدى كارولين المزيد، فقلت: حسناً، وبعد؟

- أظن أنه ذهب إلى الفندق مباشرة. ولكنه لن يجد رالف هناك لو صنع ذلك.

- صحيح؟

- نعم، لأنني عندما كنت عائدة عبر الغابة...

قاطعتها: عدتِ عبر الغابة؟

تنازلت كارولين واحمرّت خجلاً ثم هتفت: كان يوماً جميلاً رائعاً وفكرت أن أتجول قليلاً. إن الغابة جميلة في مثل هذا الوقت من السنة بألوانها الخريفية.

لم تكن كارولين تهتم بالغابات في أي وقت من أوقات السنة وعادة ما تعتبرها أمكنة تتوحل فيها الأقدام وتسقط فيها كل الأشياء الكريهة على رأس المرء. لا، إن ما دفعها إلى غابة القرية هو حاسة النمس التي تمتلكها، فالغابة هي المكان الوحيد القريب من قرية كنغز أبوت الذي يمكن فيه للرجل أن يتحدث مع صديقته بعيداً عن أعين سكان القرية، وهي مجاورة لمنزل فيرنلي بارك.

قلت: حسناً، أكملي.

- كما قلت؛ كنت عائدة من خلال الغابة عندما سمعت أصواتاً.

ثم سكتت، فقلت: نعم؟

- كان أحدها صوت رالف باتون... عرفته على الفور، وأما الآخر فكان صوت فتاة. أنا لم أقصد الإصغاء إليهما بالطبع...

قاطعتها بسخرية واضحة لم تكن تنفع مع كارولين على أية حال: بالطبع لم تقصدي.

- لكني لم أملك إلّا سماع ما تناهى إلى أذني. قالت الفتاة شيئاً... لم أفهم ما قالته بالضبط، وأجابها رالف. بدا غاضباً، وقال لها: "يا عزيزتي، ألا تدركين أن الرجل العجوز يحتمل أن يحرمني من الميراث؟ كان منزعجاً مني في السنوات الماضية. إن أي تصرف آخر سيقضي على آمالي، ونحن بحاجة إلى النقود يا عزيزتي. سأصبح غنياً جداً عندما يموت العجوز. إنه رجل بخيل جداً، ولكنه يتقلب في الثراء ولا أريده أن يغير وصيته. اتركي الأمر لي ولا تقلقي". كانت تلك كلماته بالضبط، أتذكّرها تماماً، ولسوء الحظ دست وقتها على غصن جاف فأحدث صوتاً فخفضا صوتيهما وابتعدا، ولم أستطع -بالطبع- اللحاق بهما حتى أعرف من هي الفتاة.

قلت: لا بد أن ذلك أثار حنقك كثيراً، وأظنك هرعت إلى الفندق وأحسست بالدُّوار فدخلت إلى المقصف لتناول كأس من الليمون ولتتأكدي من أن النادلتين العاملتين فيه موجودتان؟

قالت كارولين دون تردد: لم تكن الفتاة التي معه نادلة. الحقيقة أنني أكاد أكون واثقة من أنها فلورا أكرويد، إلّا...

وافقتها قائلاً: إلّا أن هذه الفرضية لا تبدو ذات معنى.

- ولكن لو لم تكن فلورا، فمن عساها تكون إذن؟

ثم راجعتْ -بسرعة- قائمة بأسماء الفتيات اللاتي يعشن قريباً منّا، مع كثير من الأسباب التي تدعم هذه النظرية أو تفند تلك. وعندما سكتت لتلتقط أنفاسها تذرعتُ بمريض أريد زيارته وتسللتُ خارجاً.

اعتزمت الذهاب إلى فندق ثري بورز، فمن المحتمل أن يكون رالف باتون قد عاد الآن إلى الفندق. كنت أعرف رالف جيداً، ربما أكثر من أي واحد آخر في القرية، لأني كنت أعرف والدته قبله ولذلك كنت أفهم فيه أشياء كثيرة تحيِّر الآخرين. كان -إلى حد ما- ضحية الوراثة. لم يرث عن والدته الميل القاتل إلى الشراب، ولكنه كان يحمل في داخله -مع ذلك- شيئاً موروثاً من الضعف. كان بالغ الوسامة والحسن كما وصفه صديقي الجديد صباح اليوم، يتجاوز طوله مئة وثمانين سنتمتراً وجسمه متناسب مع طوله، مع سمت رياضي عفوي. أما وجهه الأسمر الذي يشبه وجه أمه والذي لوحته الشمس فقد كان مستعداً دوماً للإشراق بابتسامة.

كان رالف باتون واحداً من الذين يسحرون الناس بوسامتهم بسهولة ودون تكلف، وكان محبوباً وجميع أصدقائه مخلصين له. هل باستطاعتي عمل أي شيء مع الفتى؟ ظننت أنني أستطيع.

عندما سألت عنه في الفندق أخبروني أنه قد وصل لتوّه فصعدت إلى غرفته ودخلت دون استئذان. وحين تذكرت ما سمعته وما رأيته شككت في حسن استقباله لي، ولكن لم يكن لهذا الشك أي مبرر، فقد استقبلني قائلاً: مَنْ؟ شبارد! تسرني رؤيتك.

تقدم للقائي ماداً يده لمصافحتي وقد أضاءت وجهه ابتسامة

جميلة وقال: أنت الوحيد الذي تسعدني رؤيته في هذه القرية المقيتة.

رفعت حاجبي دهشة وسألت: وماذا فعلت القرية؟

ضحك ضحكة منزعج وقال: إنها قصة طويلة. الأمور لا تسير معي على ما يرام يا دكتور. هل تريد شرب شيء؟

- شكراً لك، لا بأس بذلك.

قرع الجرس ثم عاد وألقى بنفسه على كرسي وقال عابساً: لا أريد تزويق الكلام، فأنا في ورطة كبيرة. الواقع أنني لا أعرف ماذا أفعل.

سألته متعاطفاً: ما الأمر؟

- إنه زوج أمي البغيض.

- ما الذي فعله؟

- الأمر ليس ما فعله بعد، بل ما يمكن أن يفعله.

جاء خادم الفندق وطلب رالف شيئاً نشربه، وعندما ذهب الخادم جلس على الكرسي محدودباً عابساً. سألته: هل الأمر خطير حقاً؟

أومأ برأسه، ثم قال بجدية: إنني أواجه مشكلات كثيرة هذه المرة.

أنبأتني رنة التجهم غير المعتادة في صوته بأنه يقول الحقيقة، إذ ليس تجهم رالف بالأمر الذي يحصل بسهولة. ثم أكمل يقول: الواقع أنني لا أرى طريقاً أمامي... على الإطلاق.

قلت متردداً: إن كنت أستطيع المساعدة...

لكنه هز رأسه بقوة وقال: شكراً لك يا دكتور، لكني لا أستطيع إقحامك في هذا الأمر. إنني مضطر لقطع الشوط وحيداً.

سكت بعض الوقت، ثم عاد يقول بنبرة تختلف قليلاً: نعم؛ إنني مضطر لقطع الشوط وحدي.

* * *

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمُل أن تكون الصفحات التي قرأتها قد وفّرت لك قراءة ممتعة وعرَّفَتك بالرّواية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذه الرواية (وسواها من الروايات) من موقعنا مباشرة، ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو احتجت لأي مساعدة.

الأجيال

www.al-ajyal.com